الثقافة العربية الإسلامية

وانتشارها في افريقيا الغربية

بقلم: نعيم قداح

للاسلام غزو ثقافي رائع في غرب أفريقيا، (١) يشهد به الرحالة العرب والأوربيون والمؤلفات القليلة التي وصلت من تلك العصور، ويشهد به أيضاً الواقع الافريقي الذي يحن باستمرار إلى العودة إلى العلاقات المجدية الوثيقة التي غاما الاسلام بين العرب والأفريقيين. وإن أبرز المظاهر، التي أوجدتها الحضارة العربية والدين الاسلامي، الحماس المتزايد للعلم والثقافة. ففي مملكة غانا تمثلت الثقافة العربية في تلك المدارس الاثنتي عشرة التي كانت ملحقة بمساجد القسم العربي من كومبي ولما ورثت مملكة مالي مخلفات غانا كان الاسلام قد شق طريقه إلى أرجائها بسرعة كبيرة.

---

(١) عدنا في هذا البحث إلى المصادر التالية:

١ ـ مجلة (المجلة) القاهرة ـ مقالات بقلم الدكتور عبد الرحمن زكي

٢ ـ افريقيا الغربية في ظل الاسلام: نعيم قداح، من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي

٣ ـ الدعوة إلى الاسلام توماس أرنولد: ترجمة: حسن، النحراوي، عابدين.

٤ ـ Etudesur L'islam en Mauritanie, au sénégal, en Guinée, et à la côte d'ivoire. col. da la Revue du monde Musulman: Paul Marty. Paris

٥ ـ L' Afrique Noire Précoloniale, Ch. Anta Diop. « Présence Africane », Paris 1952.

٦ ـ Recherches Africaines. N. Djibril Conakry 1961

ويعتبر القرن الرابع عشر عصر السلطان موسى صاحب مالي وعصر أخيه السلطان سليمان فتحاً مبيناً في هـــذا الميدان . فقد أرسل السلطان موسى بعثات ثقافية إلى مدن المغرب العربي ، لمتابعة دراساتهم . واشتهر في زمنه فقيه مشهور هو (كاتب موسى) الذي تابع تحصيله في فاس . وقد اشترى هذا السلطان أثناء حجه كثيراً من الكتب من القاهرة ومكة ، كما أنشأ في عاصمته عند عودته من الحج عام ١٣٢٥ مدرسة كبيرة لتعليم العربية والقرآن . وشهد ابن بطوطـــة أن التعليم في تلك المدرسة كان إجبارياً ، إذ كان الطالب يقيد بالحديد حتى يحفظ القرآن وقـد روى العمري والقلقشندي أن السلطان موسى كان يتقن العربية قراءة وكتابة وحديثاً ، وكان أخوه السلطان سليمان مثله وقد عمل هـذان على جعل اللغة العربية اللغة الرسمية إلى جانب اللغة المحلية . وقد نوه القلقشندي أن الخط السائد في مالي وفي غيرها من الممالك كان الخط الفاسي . ويبدو أن القرن الرابع عشر ، عصر الأوج في مملكة مالي ، قد سجل نهضة علمية راقية ، فقد ذكر السعدي في تاريخه تراجم لكثير من العلماء الفقهاء في المدن المشهورة ، على أن أياً من مؤلفات هؤلاء لم يصل إلى يد الباحثين. يؤيد ذلك ما ذكره في عام ١٩٦٠ المؤرخ الغيني نيان عن العمري من أن الفقيه عبد الرحمن التميمي الذي صحب السلطان موسى إلى مالي ليعمل في طومبوكتو ، قد وجد في هذه المدينة فقهاء على درجة عظيمة من الثقافة ، مما اضطره إلى متابعة تحصيله في فاس. ويشير ابن بطوطة إلى ارتفاع مستوى الثقافة ، فقد وجد عند أحد الأمراء في تكادا (إلى الشرق من غاؤ) نسخة من كتاب المدهش لعبد الرحمن بن علي الجوزي. كما ذكر الدكتور عبد الرحمن زكي في مجـلة (المجلة) أنه كان لأهل مالي رواق في الازهر ، عرف باسم الرواق التكروري يتخرج منـه المتعلمون الافريقيون ليعودوا إلى بلادهم رسلاً للثقافة العربية ، ويدل المستوى الثقافي على الرغبة في التعليم التي تتميز بها العقلية الافريقية وهذه الحركة الثقافية الناشطة قد آتت كلها ناضجة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، إبان فترة الأوج في غاؤ ، في ذلك الوقت اشتهر أمر المراكز الثقافية وظهرت مؤلفات كبار العلماء . (١)

المدارس والمراكز الثقافية

كانت المدارس في افريقيا الغربية تمتاز بظاهرة عامة ، هي ارتباطهـا الشديد بالدين ، ففي أول الامر كانت المدارس ملحقة بالمساجد ، فالى جانب كل مسجد غرفة أوغرفتان لتعليم الاولاد ، وهنـاك أمكنة أخرى لنوم الطلاب القادمين من بلاد بعيدة ، على أن بعض المساجد كانت مقراً

(١) يطلق المؤرخون العرب على سكان غربي افريقيا اسم التكرور ، كما في تاريخ ابن خلدون وفي رحلة ابن بطوطه .

للتعليم ، إذ تعقد في المسجد حلقات لهذه الغاية.وبازدياد قوة الاسلام وظهور المرابطين في القرن العاشر ، ألحقت المدارس بالرباط ، وهو المكان الذي يقيم فيـــه المرابطون للتعبد ، وقد قلد الافريقيون هذا النوع من المدارس ، فأصبح الى جانب كل زاوية من زوايا الفرق المذهبيــة والدينية ، مدرسة لتعليم الاطفال . على أنه في القرى الصغيرة التي تخلو من المساجد ، كان الاطفال يتلقون تعليمهم بواسطة أحد الدعاة في ساحة صغيرة في الحي أوفي أحد الحوانيت كما في غينيـا ، والسنغال ، وكانت بعض المدن مشهورة بمساجدها ومدارسها وبكونها بؤرة تشع منهـا الثقافة العربية نستطيع أن نطلق عليها اسم المراكز الثقافية (١) .

ان الوثائق الافريقية والعربية تتيح لنا فرصة الحصول على معلومات كافية عن المراكز الثقافية التي شعت منها الثقافة العربية ابان العصور الوسطى والحديثة ، وهذه المراكز هي المدن التي كثرت فيها المدارس ، او كانت مقراً للدعوة الاسلامية وفي مقدمتها كومبي ووالاتاونــيا (موريتانيا) ، طومبوكتو (لاتزال مدرستها حتى الآن) وجنه وغاو (جمهورية مالي) . وبوندوكو ، كونغ ، وأودينة (في ساحل العاج)(٢) الدنكراي ، تيمبو ، كانــكان ،لابة (غينيا) الكولاك ، توبة ، سيلا (السنغال) ومدينة وا wa (جمهورية غانا) واغادس(جمهورية النيجر) . وفي نيجيريا الشمالية وحدها كما يقول بيلوكران نحو ٢٥٠٠٠ مدرسة لتعليم العربية والقرآن . وهي ترسل طلابا ليتابعوا علمهم الى الفاشر (دارفور بالسودان العربي) وتنحصر اكثر هذه (المدارس) في كانو وسكوتو . وكانت طومبوكتو ، منـذ القرن الثاني عشر ، مركزاً ثقافياً كبيراً ، فقد كان فيها مسجدان كبيران (جانكوبر ، وسانكوري) يعتبران جامعتين إسلاميتين تضمان المتشوقين للعلم ، وكانت الدروس فيها تستمر طيلة النهار لاتنقطع الا وقت الصلاة وكان بعض الاساتذة يدرسون في الليل على نور الحطب المشتعل الذي يتبرع به الطلاب . وكان بهذه المدينة نحو مائة وثمانين مدرسة . وقد ذكر ليون الافريقي ان طومبوكتو قد استوردت كثيراً من الكتب العربية بأسعار خيالية ، وكانت مدينة جنه مثالا مصغراً لطومبوكتو ، وقدعجت فيها وفود الطلاب نظراً لكثرة مدارسها ، وعندمادخلها الاستعماري الفرنسي (ارشينار) وجد بها خمسعشرة مدرسة وكثيراً من الكتب . وقـد عطلت المدارس وسرق المستعمرون الكتب

(١) انظر في هذا البحث ، بالاضافة الى المصادر الاساسية السابقة الكتابين التاليين

L' Islam en occident , J. P. Roux Paris 1959

L' Islam dans le monde , A. Pellegrin . Paris 1950

(٢) يقول مارتي : لقد بلغ عدد طلاب المدارس القرآنية في ساحل العاج نحو الفين يترددون على نحو ٤٦٥ مدرسة .

واغلقت المدرسة الأخيرة فيها عام ١٩١٣ .وتعتبر بقية المدن ، المتقدم ذكرها ، أمثلة لطومبوكتو وجنة ، وقد نوه ابن بطوطة بالمتفقهين الذين وجدهم في المدن أثناء رحلته في ربوع افريقيا الغربية.

التعليم ـ المناهج ـ المستوى الفكري

لقد وجد الافريقيون في الاسلام ثقافة ملائمة لحاجتهم فأقبلوا عليها اقبال الصدي على الماء ويتمثل حبهم للعلم في اكرامهم للمعلم ، فهو محترم من الجميع وهم يجزلون له العطاء ، لأن كثيراً من المعلمين كانوا يعملون لوجه الخير والمعرفة ، الا أن العادة قد جرت على أن يتلقى بعض المدرسين المحتاجين جرايات واعانات من تبرعات الاوقاف أو من الطلاب ، فقد تلقى المدرس علي تسكاريا ، كما يقول كاتي، في يوم واحد معونة تقدر بـ ١٧٢٥ صدقة من تلاميذه الذين بلغوا مائة وثلاثة وعشرين.

وكان التعليم في أول أمره محصوراً بالأساتذة العرب القادمين من شمال افريقية ، وبعد مضي مدة تكونت طبقة مثقفة من الافريقيين تولت مهمة التعليم بعد أن تخرجت من المدارس العربية في المغرب ومصر . وأغلبية المعلمين الافريقيين كانت من رجال الدين الذين أتقنوا اللغة العربيــة ومارسوا التعليم بها لأنها كانت لغة الدين والثقافة والتجارة خلال ثمانية قرون وقد تأثر الافريقيون بالتقاليد الروحية الشديدة ، فكان العرف السائد أن الطفولة يجب أن تتلقى تهذيباً سليماً قبل ان تتسرب اليها العادات القبيحة وجرت العادة ان يذهب الطفل في الخامسة الى المدرسة في قريته ، أو في قرية أخرى ، إن لم يتيسر له ذلك في بلدته ، وعندئذ يعيش في عزلة مادية ومعنوية تساهم في تكوين شخصيته وتقوي ثقته بنفسه .

ويبدو من احد نصوص السعدي ان الافريقيين قد اهملوا التربية الجسدية ، فقد ذكر هذا المؤرخ ان كثيراً من الفقهاء لم يتدربوا على ركوب المطايا ، لذلك سقطوا عنها عندما كان يطاردهم الملك علي منك غاو في النصف الثاني من القرن الخامس عشر لانهم كانوا يتقدونه لاهمالهم الواجبات الدينية.

ويتساءل المرء عن المناهج والمواد التي كانت موضوع الدراسة ؟ يجيب على ذلك الحاضر الافريقي وتعليقات المؤرخين الاوربيين والعرب . ويستفاد من هؤلاء الباحثين ان اول دروس الاطفال مختارات من القرآن ، تلي ذلك دراسة العــلوم الاسلامية المتفرعة عنه كالتفسير والنحو والبلاغة والصرف والفقه والفرائض، وهذه الدراسات تغذي المراحل العليا التالية ، في طومبوكتو وفاس والقاهرة ، فــيما إذا اراد الطالب متابعة تحصيله . وكانت حلقات التدريس التي يتصدرها الاستاذ ندوات تجري فيها المناقشات الجدلية والفقهية ، إذ كان منطق ارسطو والفلسفة اليونانية ومقامات الحريري مدرجة في قائمة مواد المنهاج . وكانت طريقة دراسة النحو تعتمد على الاستنتاج اذ يقرأ الطلاب النص الادبي ويناقشون ، من خلاله ، بعض المسائل النحوية ثم تستخرج القاعدة .

ولقد انتقل حب المغاربة للنحو والصرف الى الافريقيين ، لان كثيراً من كتب النحو قد حملها الاساتذة العرب الى افريقيا الغربية فيما ادخلوه الى تلك الاصقاع . وكان الطلاب يقبلون على الدراسة بكثرة واضحة دون مقابل ، مما ساعد على نشوء كثير من المدارس في مختلف الانحاء . ويبدو ان علم الفلك قد ازدهر هناك ، لحاجة الناس اليه في السفر الى مكة . وقد ذكر السعدي في الفصل العاشر من تاريخه تراجم سبعة عشر عالماً من طومبوكتو مبيناً الميادين العلمية التي اختص بها كل منهم . وكانوا من النحاة والمناطقة والفقهاء والادباء وعلماء اللغة والتفسير والحديث . وقد عدد بعض مؤلفاتهم التي فقدت بسبب سوء الاحوال في طومبوكتو منذ الفتح المراكشي حتى الاحتلال الفرنسي. ومن العلماء الذين ذكرهم :السعدي.احمد بابا التمبكتي(١)صاحب« نيل الابتهاج بتطريز الديباج » في تراجم المالكية وقد ذكر في كتابه تراجم لأكثر من مائة شاعر واديب ومؤرخ وفقيه . وهؤلاء عبروا عن أفكارهم باللغة العربية .

ومن هؤلاء . العالم المؤرخ محمد بن ابي بكر الوانكوري وكان استاذاً للمؤرخ السعدي ومنهم الشاعر محمد بن محمود المتوفي عام (١٥٦٥) وكان فيلسوفاً .

ويتحدث السعدي عن استاذه الوانكوري فيقول : لقد تعلمت منه الكثير وأجاز لي كتباً قرأتها عليه . بخط يده وأهديت اليه بعض المصنفات التي ألفتها بمساعدته . وهذا دليل على وجود نوع من الشهادة . وعلى نشاط في البحث والتأليف لم يصلنا منه إلا القليل ، فقد توزعت الكتب بين شمال افريقيا والاندلس بينما أخذ الفرنسيون ماتبقى منها الىفرنسا ودكار . وفي المعهدالفرنسي بعاصمة السنغال يتكدس منذ عام (١٩٠٠) اكثر من ثلاثمائة مخطوط عربي .I . F . A . N تنتظر الباحثين المختصين ، ويسرد السعدي في تاريخه براهين تؤكد وجود مجتمع ثقافي عربي يحاكي المجتمعات في شمال افريقيا ،من هذا قصة الفقيهعبد الرحمن التميمي الذي مر ذكره . وأن الأثرين اللذين تركهما السعدي وكاتي يشهدان علىدقة في البحث التاريخي وأمانة في سردالحوادث.

فقد ذكرا في كتابيهما المصادر ورجال السند ، واحتفظا بالنصوص منسوبة الى اصحابها

---

(١) أحمد بابا هو ابو العباس احمد ابن احمد التكروري السوداني (١٥٥٦ ـ ١٦٢٧) مؤرخ ينحدر من أصل موريتاني . كان عالماً كبيراً قبض عليه المراكشيون في تومبوكتو وساقوه الى فاس ،فقدأثناء ذلك نحو (١٦٠٠) مجلد من الكتب التي كان يملكها له ايضاً . (كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج) وهو في اللغة والحديث ، وهناك عالم آخر بهذا الاسم ، وله نحو أربعين مصنفاً .

وقدتحدث كاتي (١) في مقدمة كتابه (التاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش وا كابرالناس) عما يمكن ان يسمى النقد العلمي في البحث التاريخي فقال : لما رأيت اهمال الناس للتاريخ على ماله من فائدة جليلة في معرفة البلاد وتسقط اخبار ابطالها ، التمست من الله تعالى ، جلت قدرته ، ان يساعدني على كتابة هذا التاريخ الذي يبحث في سلاطين السودان . من هذا النص نرى أن المؤلف الافريقي محموداً كاتي قد ادرك اهمية التاريخ في حياة الامة وكان الى جانب علمه بالتـــاريخ عالماً بالخطوط والكتابات . اما عبـد الرحمن السعدي (٢) الامام والقاضي فقد اعتمد في تاريخه على تمحيص الاخبار وتنظيم السرد التاريخي . على ان كتابي كاتي والسعدي لم يخلوا من بعض المبالغات السائدة في ذلك العصر .

وان كثرة المؤلفـــات تنقلنا الى موضوع متمم ألا وهو المكتبات . فقـــد عرف الافريقيون الورق وفن الخطوط ، وكان عند الملك داود ، صاحب غاؤ ، مكتبة ضخمة ونساخ ينقلون له المخطوطات كما يقول السعدي ، وقد بلغ من حب هذا الملك للكتب ، ان اشترى قاموساً بمبلغ ثمانين مثقالاً من الذهب (٣) . ومن جهة اخرى عرف الافريقيون الطب التجريبي وكان عندهم بعض المختصين مثل (ابراهيم السوسي) في كبارة ، ميناء طومبوكتو ، على النيجر ، وقد شفى هذا الطبيب احد إخوة المؤلف السعدي من مرض لازم عينه . وعرف الافريقيون خياطة الجروح وتضميدها وقطع النزيف بالزيت المغلي ومعالجة السموم بخلاصة بعض النباتات وقد ذكر ابن بطوطه انه عولج خلال رحلته الى مالي ، من وعكة ألمت به .

ويتقدم بنا الزمن الى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لنرى أي تطور قد دخـــل على الثقافة العربية في تلك البلاد ، يجيبنا على ذلك الرحالة الاوربيون الذين زاروا البلاد خلال هذين القرنين . فلقد ذكر الرحالة الانكليزي فرنسيس مور Moore أنه وجد عام (١٧٣١) معظم اهالي

---

(١) كاتي ابو الثناء محمود بن عمر كاتي الصنهاجي الطومبوكتي ١٤٦٣ ـ ١٥٤٨ قاضي بومبوكتو ، فقيه ومؤرخ . له : التاريـخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس ، والكتاب يؤرخ لمملكة غاؤ ولقبرها . وقد ترجمه الفرنسيان هوداس ودولافوس ونشراه في باريز عام ١٩١٣ وقد اعتمد عليه المؤرخون في دراسة تاريخ افريقيا الغربية .

(٢) السعدي : عبدالرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر (١٠٩٥ ــ ١٦٠٦) مولود في تومبوكتو درس على والده وعلى علماء بلده . كان مؤرخا فقيهاً وقاضياً عمل إماما في بلده وفي (جنه) ثم عمل في آخر حياته في خدمة دولة السونراي وتوفي في العاصمة (غاؤ) له : تاريـخ السودان بالعربية نشره هوداس عام ١٨٩٨ ثم ترجمه الى الفرنسية عام ١٩٠٠ .

(٣) المثقال الذهبي يساوي ستة غرامات وكان نقداً رائجاً في تلك البلاد .

كامبيا البريطانية يتكلمون العربية لأنهم كما قال يتعلمونها في مدارسهم ولأن القرآن هو شريعتهم مكتوب بهذه اللغة .

والمامهم على العموم بالعربية اكثر من المام أهل اوربا للاتينية وا كثرهم يتكلمون العربية الى جانب اللغة الاصلية البدائية (١) .

كما وجد منكوبارك في مدن وادي النيجر عدداً كبيراً من المدارس التي تعلم العربية والقرآن في اوائل القرن التاسع عشر .

وفي السيراليون وجد المستعمرون جماعات من القبائل تتقن العربية وتنشىء المدارس لتعليم القرآن فقد جاء في تقرير عن تلك البلاد رفع الى مجلس العموم عام (١٨٠٤) هـذا نصه : منذ مدة لاتزيد على سبعين عاما استقرت جماعات صغيرة من المسلمين شمال السيراليون (المقصود بهذه الجماعات قبائل الملانكة) وكما هي العادة عند اتبـاع هذا الدين ، فتح المعلمون المسلمون المدارس التي تدرس العربية والقرآن والشريعة الاسلامية وقد جرى هؤلاء على عادة المسلمين في عدم بيع ابناء دينهم بيع الرقيق . وقد ساروا في نظام حياتهم وفق الشريعة وجلبوا الى البلاد حضارة بلغت درجة عظيمة .

ويقول توماس أرنولد في هذا الصدد :

(وقد بلغت اللغة العربية ، لغة الديانة الاسلامية ، حداً يفوق الوصف ، بل انها اصبحت لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة السوداء ، وهي الى ذلك لغة الشريعة المكتوبة ، وهذا تقدم هائل في الحضارة الافريقية) .

والى جانب ذلك ظهر عدد من المؤلفين الافريقيين (٢) في القرن التاسع عشر قد عبروا عن أفكارهم باللغة العربية منهم العالم السنغالي (كلماد ديا كيتا) الذي كان في حاشية ملك السنغال عام ١٨٥٨ ومنهم الحاج (مالك سي) و (موسى كالم) ومنهم علماء الفوتادجالون ، أحدهم ذلك المؤرخ الذي كتب بالعربية حياة المناضل احمد ساموري توري الذي دوخ الفرنسيين مدة ثمانية عشر عاماً ١٨٨١ ــ ١٨٩٨ وأعاق تقدمهم في غينيا العليا وأعالي ساحل العاج وجنوب مالي ، ونحن ننقل هنا كلامه عن المؤرخ الانكليزي Blgden في كتابه (المسيحية والاسلاموالزنوج) يقول المؤرخ الافريقي : (هذه قصة الامام احمد ساموري أحد أفراد الماندينغو Mandingo

---

(١) كامبيا : هي اللسان البريطاني في السنغال وهي مستعمرة صغيرة بها ا كثرية من المسلمين الذين يتعلقون ثقافياً باخوانهم السنغاليين .

(٢) هؤلاء هم الرعيل الاخير الذي كتب بالعربية ، والافريقيون يعبرون عن آرائهم منذ الحرب الاولى بالفرنسية التي فرضها الاستعمار .

(قبيلة كبيرة في اعالي النيجر) لقد أنعم الله عليه بعونه منذ أخذ في زيارة الوثنيين عبدة الاصنام وكان يزورهم بقصد دعوتهم الى اتباع دين الله الدين الاسلامي . ولما كان يعمل بالكتاب والفريضة والسنة ارسل رسولا اليهم يدعوهم الى الاذعان لحكومته ، ونبذ عبادة الاصنام الى عبادة الاله الواحد العلي الحق الذي تنفع عبادته خلقه في هذه الدنيا وفي الآخرة . ولكنهم تأبوا على الخضوع نفرض عليهم الجزية كما أمر بها القرآن ولكنهم ظلوا في عمهم وضلالهم ، فجمع الامام للجهاد قوة صغيرة فأعانه الله ونصره عليهم ، ثم أسلموا ، انهم لن يعودوا الى وثنيتهم ، وذلك لان كل أولادهم الآن في مدارس يحفظون فيها القرآن ويلمون فيها بأطراف من الدين والتهذيب والحمد لله على هذا).

وقد استطاعت الفرق الدينية أن تنشىء المدارس في المناطق التي تسيطر عليها الوثنية وكانت أصالة الثقافة العربية وسموها هي التي فرضت نفسها .

وفي مطلع القرن العشرين كانت مؤلفات (احمد بابا) شيخ فرقة المريدية استمراراً لحركة الثقافة العربية في القرون السابقة . وقد انشأ المريدون مدارس تدرس العلوم بالعربية الى جانب العلوم التقليدية الاسلامية .

وفي كتب بول مارتي المتخصص في دراسة الاسلام في افريقيا الغربية كثير من نصوص المعاهدات التي عقدت بين السلاطين الافريقيين وبين المستعمرين الفرنسيين ، وكانت المعاهدة تكتب على ثلاث نسخ بالعربية وبالفرنسية ، وكان الافريقيون المؤولون يتكلمون العربية في الاجتماعات الرسمية ويكتبونها في رسائلهم ، ويسرد هذا العالم اسماء سلسلة من الكتب العربية التي وجدها في مطلع القرن الحالي في المكتبات الاسلامية . نذكر منها على سبيل المثال الكتب التالية في طوبا بساحل العاج : كتاب (الجواهر الحسان) لأحمد بابا التومبوكتي ، (شجرة اليقين) للشيخ أبي الحسن الأشعري ، شرح (بانت سعاد) لكعب بن زهير وكتب العالم السيوطي المصري ، كتاب (مولد النبي) لسعيد ابن جبير . وفي مكتبة (سعيد كاراموكو) بمدينة مانكونو كثير من الكتب منها : مقامات الحريري وكتاب الشعراء الست ، والمصباح المنير ، ومقصورة ابن دريد ولامية العرب ولامية العجم والألفية لابن مالك ، وقطر الندى وتفسير النسفي ، والبيضاوي ، والجلالين ، واحياء علوم الدين للغزالي ، ومصابيح السنة للبغوي ، والدرر اللوامع . وانني اذكر ايضاً ، على سبيل المثال ، بعض الكتب التي وجدت في المراكز الثقافية في الثوثاد جالون (غينيا) . وقد استولى الفرنسيون على مكتبة كاملة للامام تيرنو هاشم وفيها الكتب التالية : البرهان للشيخ السنوسي (دين) الرسالة والتحفة (في الفقه) مقصورة ابن دريد ومقامات الحريري (ادب ولغة) والفية ابن مالك (في النحو) وعقود الجمان (في البلاغة) ، وموطأ مالك .. وفي مكتبة العالم (تيرنو

علي بوبا) الكتب التالية : مفتاح الجنات (في الدين) ، وكفاية الطالب(في الفقه) وتحفةالمودود في المقصور الممدود (في الادب واللغة) وفي هذه المكتبة عدد من المخطوطات منها : مختصر العين والاكتفاء وغيرهما . . وهذه مجموعة من الكتب ألفها العلماء الافريقيون نعد منها : كتاب (سفينة الاخلاص) في المدائح النبوية ، وكتاب : تنبيه الحصيف على موارد التأليف (أصول التأليف) للشيخ كراموكو تاسيلمو Karamoko Tassilemow والمرشدالمفيد (في الفقه)وروضة المشتاق (مدائح نبوية) والتحفة المرضية (في النحو) وكتاب البادية والمعاني والبيان (بلاغة) للشيخ كراموكو كوتوبو Qoutoubo ومصباح السالك (في الفقه) ومكشاف الاحزان (في النحو) ومنهاج السلوك (في التصوف) . ان المقام لايتسع في هذه العجالة لسرد موجودات المكاتب في كل من دكار ، وتومبوكتو ، وباماكو وكايس وغاؤ ، وسنعود الى ذلك في بحث مقبل . وينبغي أن نقرر منذ الآن بأن كثيراً من المدن في غرب افريقيا كانت مراكز للثقافة العربية قد انقطعت عن أداء رسالتها عندما احتلت البلاد بالاستعمار .

وفيما يلي نسوق مثالا على الاسلوب العربي المتين وهو يعطي صورة حية عن الادب العربي في افريقيا الغربية . فقد كتب السلطان أحمد بن الحاج عمر (١٨٦٥ — ١٨٩٣) رسالة الى أحد أصدقائه يعزيه فيها بوفاة ولده (١)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل حزبه ، ورضي عن شيخنا أحمد التيجاني وخليفته العثماني ، سقانا الله من بحره باعظم الأواني .

وبعد هذه الديباجة يأتي خاتم السلطان الرسمي وفيه :

عبد ربه الحق البر ، أمير المؤمنين أحمد بن عمر بن سعيد أسعدهم الله في الدارين .

الرسالة : منا الى صحبنا وخاصة الخاصة من اصحابنا أبي بكر بن الحاج محمود . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . موجبه أننا قد سمعنا بوفاة ثمرة فؤادك ومهجة قلبك الكبير.فاسترجعنا وفزعنا الى الله تعالى ودعوناه باسمه القريب المجيب أن يتلقاه بفضله ورحمته وأن يغفر له ويرحمه ويصفح عنه ويستره وأن يعوضك خيراً منه ويسدلك ثلمته . فاذا اتاك كتابنا هذا فاعلم بأن لله ماأخذ وله ماأعطى ، ولكل منا أجل مسمى ، فاصبر واحتسب ، فان المال والأولاد في أيدينا ودائع الله ، فلا ينبغي لنا الجزع ان استرجع المودع ودائعه ، وقد قيل أن لله ملكاً ينادي كل يوم : لدوا للموت وابنوا للخراب . فاذا فهمت ذلك فاعلم بان الرجل انما يبتلى على حسب دينه،فمن كان دينه أقوى، كان بلاؤه أشد، وأن من كانت نعم الله عليه اكثر كانت البلايا عليه اكثر، فلا نعمة أعظم من

---

(١) النص مكتوب بخط فلس ومصور في كتاب: Pioniers de Soudan : J. Meicaud

الولد بعد النفس ولابلية أعظم من الابتلاء بموته . فاحتسب الله ولاتجزع لحادثة الليالي فما لحادثات الدنيا بقاء ، والسلام» :

ان ماتضمنه هذا النص من حكم ، ومن اقتباس لبعض الابيات الشعرية يدل على المام صاحبه الماما تاماً بالثقافة العربية قراءة وكتابة . وهذه صفة عامة في الحكام الافريقيين ويمكن القول ان فرنسا وبريطانيا رائدتي الاستعمار في أفريقيا الغربية لم تستطيعا بعد الحرب الثانية تحويل أنظار الافريقين عن فاس وتونس والقاهرة ومكة . وكان ثمة خطة استعمارية واضحة تهدف الى تجهيل الجماهير الافريقية بقطع اتصالها بالعالم المتمدن وقد أتت هذه السياسة أكلها أحيانا فقد أوضح ذلك الاستاذ عبد الله الالوري رئيس أحد المراكز التعليمية في نيجيريا فقال في مجلة (حضارة الاسلام) يستنكر التخلف والرواسب الاستعمارية :

إن الامية متفشية بين النشء الجديد ، لاهم يتعلمون الانكليزية من اجل التعصب للاسلام ولا هم مقبلون على العربية بجد ونشاط . واساليب التعليم الحديثة عندهم (عند الحكام) بدعة شيطانية . فبات الجهل عليهم ممدود الرواق والجمود ضارباً أطنابه على العقول ـ وحجرة التعصب المذهبي متوفرة بين طبقات الامة ، وتخدير مشاعر النشء المثقف فريضة من فرائض الامراء على الشعب وتكميم أفواه العلماء سنة من سننهم المشروعة باسم الاسلام ظلماً وعدواناً ، قاعدتهم في ذلك قوله تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وكل من يجاهر برأي جديد في الاصلاح والتحسين او يدعو القوم الى اليقظة والانتباه فعليه غضب الامير والعلماء (الدائر في فلكه) والناس اجمعين فكان ذلك من اهم اسباب ارتداد المثقفين الشماليين عن الاسلام وإعلان دخولهم في المسيحية اما في الجنوب فقد استفاد المسلمون من نشاط المبشرين الذين يحتكون بهم ، فصار المسلمون يتطلعون الى وسائل الرقي والتقدم ونشر العلم والتبشير بالاسلام . وكان الكثيرون من المسلمين يتألمون دائماً من الوضع الذي عليه الاسلام ، ويسعون لتلافي هذا النقص بكل وسيلة ، الا انهم يتخبطون في ذلك خبط عشواء ، ويحاولون تجريد الاسلام من اللغة العربية والاكتفاء بالكتب المترجمة التي تكتب عن الاسلام ، ولم يعرفوا أنه لايمكن فهم الاسلام الا بتعلم اللغة العربية .

وكان الافريقيون يرسلون أولادهم سراً الى القاهرة والى مدن شمال افريقيا ليتزودوا بالثقافة العربية ، ولقد لاقى أقرباء الطلاب عنتاً كبيراً من المستعمرين وان بعض هؤلاء الطلاب قد اضطر الى العودة قبل ان يتم تحصيله ، بينما عاد البعض الآخر الى السجن مباشرة . وقد ابتدع المستعمرون طريقة لتعليم القرآن حاولوا اذاعتها بين الناس مستغلين رغباتهم المتعاظمة في تعلم القرآن

والعربية . وهذه الطريقة تتلخص بكتابة القرآن العربي بحروف أفرنسية في سورة الفاتحة تقال الآية الكريمة (الحمد لله رب العالمين) على النحو التالي :

Alhamdu lillahi Rabbil alamin

ان هذه الطريقة تقوم على تخدير المشاعر وابعاد الافريقيين عن فهم العربية وعن قراءة حروفها قراءة صحيحة ومن جهة اخرى نالت اللغة العربية رفداً قويا بين الافريقيين عندما اضطر المستعمرون الى مخاطبة الجنود الافريقيين في الفرق الاجنبية باللغة العربيـــة نظراً لتعذر مخاطبتهم بلغاتهم المتعددة وبعد أن بزغ فجر الحرية في افريقيا عمدت الدول الافريقية الحديثـة الى اقرار اللغة العربية مادة اساسية في مناهج الدراسة ففي عام (١٩٥٩) اقرت الجمعية الوطنية السنغالية اللغة العربية لغة اجبارية في منهاج الدراسة وبعد ذلك بدأت غينيا المستقلة تدريس اللغة العربيـة منذ عام (١٩٦٠) وقد حدث الامر ذاته في كل من مالي ، وغانا ونيجيريا الشمالية بينما اعتبرت اللغة العربية لغة رسمية في جمهورية موريتانيا (شنقيط) .

وان حركة التحرر في غرب افريقيا تدعو الافريقي اليوم لان يصبو الى القيم الافريقية السامية مترغاً بما قدمه الاسلام ، ليستطيع أن يفكر بفضله وينفخ بواسطته شعلة الحرية التي تتمثل في احياء التراث الناهض للحضارة الافريقية الاسلامية .



الكتاب والموضوعات

- قصيدة الميلاد

شفيق جبري

- قصيدة الطائر الغريب

عبد الكريم الكرمي

ابو سلمى

- الأحـــلام

قصة الكاتبة الايطالية أبادي تشيدس

ترجمة عيسى الناعوري

- زواج مُدَبَّر

تمثيلية ذات فصل واحد

للمؤلف الفريد سترو

ترجمة هبة الوادي



الآداب



عربة كارو ـ ممدوح قشلان

الفنان ممدوح قشلان

ولد في دمشق عام ١٩٢٩ ودرس التصوير والحفر في روما ثم اشترك في اكثر المعارض التي اقيمت في سورية منذ عام ١٩٥١ وبعض المعارض التي اقيمت في ايطاليا والقاهرة . يعمل حالياً كمدرس فنون . تأثر بالمدرسة التكعيبية وعني بمعالجة المواضيع الشعبية .

اللوحة :

قياسها (٨٠×٦٠) وتمثل احدى العربات الشعبية ، ويتجلى فيها بوضوح التأثر بالتكعيبية والعناية بمعالجة المواضيع الشعبية ، وتعبر أفضل تعبير عن اتجاه « ممدوح قشلان » .

سورية

العالم

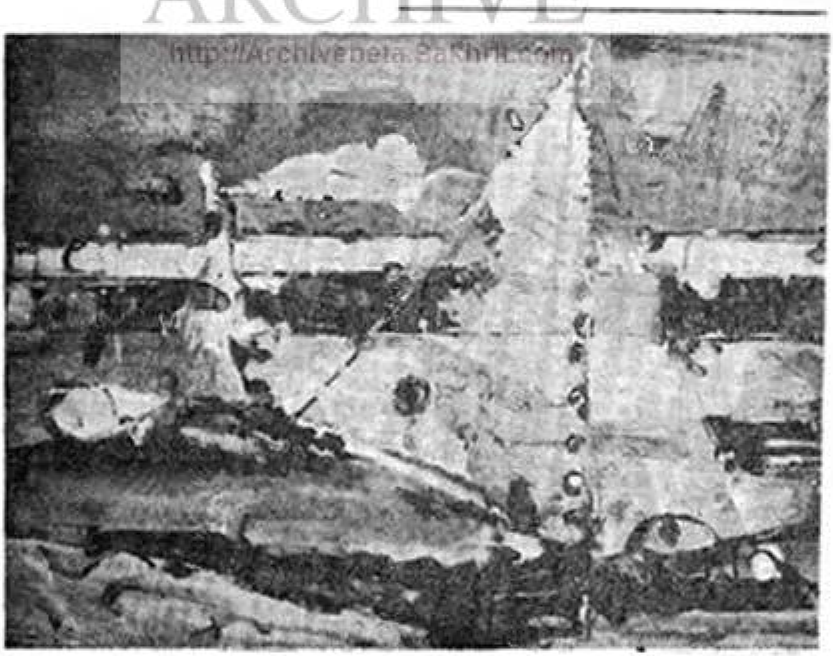
دمشق — المركز الثقافي العربي

شهدت دمشق في الشهر المنصرم معرضاً للرسم يعتبر من اقوى المعارض التي شهدتها خلال موسمها الحالي انه معرض الفنان « نوبار صباغ » ابن حلب البار الذي لم ينقطع ابداً عن الاشادة بأصالة بلده والاعتزاز بها .

في لوحاته التي اتسمت الوانها بالاشراق والحيوية استطاع الفنان أن يعالج المواضيع المحلية وخاصة منها الشعبية التي تسير في طريقها نحو الزوال .

في لوحاته «اسواق حلب القديمة» كان الفنان واقعياً في تصوره لها وانطباعياً في تصويرها ، وقد اجاد كل الاجادة في التعبير عن خصائصها .

وفي لوحاته عن الريف ، قطف اجمل ما فيه من ازاهير يعيدها الينا حبة فرحة ، فأخذ من الريف زوايانه ورقصاته وافراحه جاعلا منها ايات من الجمال رائعات .



الميناء — للفنان نوبار صباغ



لوحة من معرض الفنان مروان شاهين

وتعتبر لوحات «الاحمر والاسود» و«الفراق» و«كرم الزيتون» و«النوافذ الزرقاء» و«القسطل» و«بحر» من اجمل اللوحات المعروضة .

وقد اقتنت وزارة الثقافة والارشاد القومي والمديرية العامة للآثار والمتاحف عدداً من اللوحات المعروضة لما فيها من مميزات تميز فن الفنان .

دمشق ـ الحلقة الاجتماعية

معرض الفنان مروان شاهين

برعاية السيد رئيس مجلس الوزراء ، افتتح في الحلقة الاجتماعية معرض الرسم للفنان مروان شاهين ، وقد ملأت لوحات الفنان قاعات الحلقة الفسيحة . واللوحات المعروضة جميعها تمثل انتاج الفنان خلال عام ١٩٦٢ .

لقد عمد فناننا في انتاج لوحاته الى السكين التي استعملها لوضع الوانه فجاءت رسومه قوية جريئة وخاصة ما اتسم منها بالجرأة في استعمال الالوان المتنافرة التي استطاع الفنان ان يخلق بينها نوعاً من التعاطف الذي استحوذ على انتباه المشاهدين وتفاعل بسرعة مع أحاسيسهم .

عالج الفنان في معرضه هذا مواضيع شتى منها المناظر وصور الاشخاص ، وقد جاءت لوحات المناظر وفيها نوع من السحر بينما نرى في اشخاصه حركة لاتنقطع . الا ان المناظر تظل صاحبة الطابع كمميز للفنان وقد عرفنا في مروان فناناً يعمل بصمت منذ سنوات وخاصة في ميدان الرسم المائي والترابي .

دمشق – صالة الفن الحديث العالمي

معرض الفنان « ميشيل كرشة »

اقيم في صالة الفن الحديث العالمي معرض لشيخ الفنانين الاستاذ ميشيل كرشة . وقد ضم المعرض عدداً كبيراً من اللوحات التي عالج فيهـا الفنان مواضيع شتى إلا انهـا كلها مواضيع ذات طابع محلي ، فالفنان كرشة فنان اصيل احب بلده وانطبعت لوحاته بطابعه الشرقي المحبب .

فناظره استمدها جميعهـا من الجنات المحيطة بدمشق ، اما ابنيـة دمشق التي اتصفت بالرشاقة والجمال ، كانت أبنية اثرية أم غير اثرية اضفى عليها الفنان من روحه المشرقة الواناً حلوة محببة تلهف اليها العين والروح سواء بسواء .

ونعتبر لوحـة « مكتب عنبر » و « الجامع الاموي » و « فيلا في بلودان » و « مستشفى » من اروع ماعرض الى جانب صور الاشخاص التي اتسمت بالقوة والعمق وتحليل نفسية الاشخاص التي عالجها في لوحاته ، فصورة « والده » ... من اقوى اللوحات التي رسمها يوم كان طالباً في معهد الفنون الجميلة بباريس .

اسلوبه الواقعي الذي يعتز به الفنان كل الاعتزاز يجرنه احياناً نحو الانطباعيـة ، الا انه يبقى دوماً وابداً واقعياً أصيلا .

دمشق – المتحف الوطني

معرض الرسم والنحت اليوغوسلافي

اقيم في الثالث عشر من شهر كانون الاول ٩٦٢ ، وتحت رعاية وزارة الثقافـة والارشاد القومي معرض فـنـي يوغوسلافي على جانب من الاهمية كبير بالرغم من انه لا يمثل الا جانباً ضئيلاً من الفن اليوغسلافي ، والمعرض المذكور يشكل جانباً من مجموعة احد العاملين في السلك السياسي اليوغسلافي من مجموعته الخاصة ، ويمثـل خاصة الحركة الفنية للرسم في اواخر القرن المـاضي والقرن الحالي ، وفي المعرض مجموعـة كبيرة من اللوحات الزيتية التي يمكن تقسيمها الى عدد من المدارس الفنية فمنها المدارس الواقعية ومنها التجريدية وهي التي تمثل غالبية المعرض . وفي اللوحات المعروضة تتجلى روح فنية رائعة تحلى بها الفنانون اليوغوسلافيون .

اما النحت فهو على غاية من الاهمية وخاصة الحفر على الخشب الذي استطاع الفنان فيـه ان يبدي براعة فائقة .

لقي المعرض في دمشق اقبالاً منقطع النظير لما اجتمع فيه من مميزات التنوع في التقنية والمواضيع والقوة في الاداء .

الجمهورية العراقيـة

كانت الجمهورية العراقيـة في الشهر المنصرم مسرحاً لنشاطات ادبية وفنية وعلمية . . وذلك بمناسبة الاحتفالات الالفية لمدينة بغداد وللفيلسوف الكندي فقد افتتح وزير المعارف العراقي معرضاً للفنون التشكيلية في معهد الفنون الجميلة .

ضم المعرض المذكور قطعـاً حلوة من الرسم والنحت والخزف ، كما ضم لوحات رائعات من الخطوط العربية القديمة والحديثة .

وقد شاهد المعرض الوف الزوار ممن قدموا بغداد احتفالاً بهذه المناسبة العظيمة واعجبوا اكبر الاعجاب بالنهضة الفنية المعاصرة .

ايتاليا

عرضت في ميلانو مجموعة من اللوحات الفنية لكبار الرسامين لبيعها بالمزايدة .

ـ تضم المجموعة لوحة للرسام بيكاسو اسمها الحياة الساكنة .

ـ ظهرت لوحة للرسام موديلياني modieliani وقد قدر ثمنها بحوالي عشرين مليون لير ايطالي .

ـ وكذلك عرضت لوحة تمثل بعض المناظر الطبيعية للرسام الانطباعي رينوار Renoir .

ـ برزت في المعرض لوحة تمثل مطحنة للرسام اوتريللو Utrillo .

ـ ضم المعرض تمثالا لاحد رجال الدين لمانزو Manzu ورأس امرأة لغويا Goya .

ـ برزت بين اللوحات التي تمثل المناظر الطبيعية لوحة للرسام مونيه Monet وقدر ثمنها بحوالي ثلاثين مليون لير ايطالي وعرضت لوحة اخرى لفلامينك Vlaminec .

بريطانيا

فنانون عرب يثيرون اهتمام بريطانيا

اثار سبعة من الفنانين العرب اهتماماً ملحوظاً في الصحف البريطانية واوساط الشعب وذلك بفضل المعرض الفني الذي اقاموه في لندن والذي استمر خمسة اسابيع وحقق من النجاحات مايصعب تصديقه.

وقال امين سر الرابطة العربيـــة الانكليزية الاستاذ فريزر التي تبنت المعرض ، قال لمراسلي الصحف: لقد لقي هذا المعرض من النجاح اكثر مما كنا نتوقعه ،وقد استقبله الجمهور البريطاني بكثير من الاكبار والتقدير. وقد ضم المعرض حوالي ستين لوحة وقطعة خزفية،وقد بيع اكثرها باثمان عالية .

لندن

بيعت في الايام القليلة الماضية المخطوطات الفارسية الاثرية للشاعر الايراني الشهير المسمى بالفردوسي بثلاثة الاف وتسعماية جنيه استرليني وذلك بمزاد علني جرى تحت اشراف مؤسسة سوتيبي المعروفة.

تؤلف المخطوطات المذكورة القسم الثاني من تابع الملوك الذي ألفه الشاعر الفردوسي عام ١٦٠٠ وتحمل الصفحات الثلاثماية والخمسون الاخيرة من الكتاب خـــاتم الامبراطور رادوخ سيار امبراطور الموغور(١٧١٣ ـ ١٧٢٥)وتتضمن المخطوطات رسوماً مبينة بالالوان على غاية من الاهمية.

الاتحاد السوفيتي

اكتشف مؤخراً في معرض أميت الذي يعود الى القرن السادس قبر امرأة محاربة مع كافـــة أسلحتها م الرمح ، والقوس ، والسهام والسيف والحزام » ويرى العلماء السوفييت الذين اكتشفوا القبر انه فريد من نوعه وانه يعود لفـائدة قبيلة موكشا وهي احدى قبائل الموردفا واستنتجوا منه ان المرأة قديماً حملت مسؤوليـــات جساماً لاتقدر على حملها نساء اليوم .

اسبانيـا

افتتح في متحف كارلو تبرغ في كوبنهاغن معرض الصور الفوتوغرافي جوزيه ديل كستانو والذي قدم فيه اخر انتـاجه وعنوان المعرض « اسبانيا بلد التناقض » اذ قدم فيه وجه بلده القديم والحديث .

ومن الجدير بالذكر ان التصوير الفوتوغرافي اخذ يحتل مكانة مرموقة بين الفنون .